

عن الموت :

تجهيز الموتى ومهن الموت

Death: The Processing Of The Dead And The Occupations
Of Death

~~~~~ د. محمد حقي

صص 47-71

Dr. Hakki Mohamed

كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة السلطان مولاي سليمان

بني ملال (المغرب)

haqqim@hotmail.com

تاريخ استقبال المقال: 2018/06/26، تاريخ المراجعة: 2018/07/16، تاريخ القبول: 2018/09/10.

**ملخص:** اهتم المقال بالوجه الدنيوي للموت، فإذا كانت مناسبة تجهيز الميت ودفنه لحظة روحية قوية تحرك المشاعر وتغير المواقف والعادات، فإنها أيضا مناسبة لتنشيط الاقتصاد وإدراج الرزق والخير على فئات متنوعة من المجتمع من خلال خلق وظائف عديدة في المدينة المغربية-الأندلسية. وقد انطلق من مادة متنوعة وفرتها مختلف أنواع مصادر الفترة ليلسط الضوء على مهن الغسال والحناط والكفان وحافر القبر وحامل النعش والباكية على الموتى وقارئ القرآن على القبر وفي المأتم والمنشد والداعي وباني القبر والنحات والنقاش والنجار والشاعر المسترزق... وأبرز أوجه تعامل المجتمع معها. والخلاصة أن المقال يوضح أن الموت ينشر الحياة أيضا ويحول حزن وبؤس البعض إلى سعادة للبعض الآخر.

**الكلمات المفتاحية:** تجهيز الميت؛ المواقف؛ العادات؛ المجتمع؛ المغربية-الأندلسية.

**Abstract:** The article analyses the earthly face of death. So, if the opportunity to equip and bury the deceased is a strong spiritual moment, touching emotions and changing attitudes and habits, it is also an opportunity to revitalise the economy, to Generate livelihoods and goodness in different groups of society by creating many jobs in the Moroccan-Andalusian city. It was launched from a variety of material provided by various types of period sources to shed light on the professions of dead washer, embalmer, wrapper in the shroud, Gravedigger, coffin holders, mourner of the dead, reader of the Koran on the tomb, and in the funeral, singer, preacher, builder of tombs, sculptor of epitaphs, carpenter, and poet... He even pointed out the interactions of society with them. In short, the article clearly states that death also spreads life and transforms the sorrow and misery of some into happiness for others.

**Keywords :** Death; Attitudes; Habits; Society; Moroccan-Andalusian.

مقدمة: شكل الموت في المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط هاجسا كبيرا، بحيث فرض هيمنته على عقل الناس وحضر بقوة في كل مناحي وأوقات حياتهم. وإذا كان هذا المجتمع قد قبل بالموت واعتبره مصيرا محتوما لا يملك القدرة على منعه أو تأجيله، فإنه بالمقابل كان مقتنعا بضرورة العمل لما بعد الموت أو الدار الآخرة، فكان الجميع يبحث لاهثا عن كل ما يحقق له السعادة الأخروية، وتوجهت تصرفاتهم نحو أعمال مادية ومعنوية من توبة وإكثار من العبادة وبث صدقات وتشفع بالأحياء من الأولياء والعلماء وعامة الناس (قراءة القرآن- الدعاء عند الاحتضار وبعد الموت- المصلي- قراءة على القبر- الموكب الجنائزي الكبير- المأتم...) والأشياء التي تخلد وتعرض أعمالهم وأثارا وأماكن مقدسة للدفن (مسجد- زاوية- كتاب- مصلى أو خلوة في البيت). وقد كان من نتيجة إقبال الناس على هذه الأعمال أن طور المجتمع مجموعة من المهن التي توفر هذه الخدمات، وصار كثير منها يتطلب دفع مقابل مالي. وقد عملنا على جمع مجموعة من النصوص والإشارات التي تشير إلى هذه المهن وتعرف بها، وسنعمل على عرضها وفق حضورها في مسار موت الشخص من الاحتضار حتى الدفن النهائي.

1- غسل الميت: تتم عملية غسل الموتى في منازلهم، حيث تتكفل به الأسرة ويتم في مكان مغلق لا يحضره إلا أقرب المقربين من الميت أو لا يحضره إلا الغاسل لوحده في حالة إصابة الميت بمرض تكره الأسرة انتشار خبره وتحرص على ستره وإخفائه. أما الفقراء وأهل الحاجة والغرباء والمجاذيم ومن لا أسر لهم فقد وجد لهم المجتمع الحل، حيث زودت المساجد والمقابر بمغاسل خاصة بها تستخدم لتطهير هؤلاء. وقد خلد ذلك في ميثاق مسجد قرطبة التي احتوت على مكان يدعى "موضع غسل المحاويع"، وورد الحديث عنه عام 404هـ/1013م<sup>1</sup>.

ويتكفل بغسل الموتى كل الأشخاص الذين يملكون معلومات حول كيفية الغسل، لكن بعض الأشخاص احترفوا هذه العملية وعرفوا بإتقانها أكثر من غيرهم، وصار كل درب من دروب المدينة يحتوي على غاسل يلجأ إليه عند الحاجة وكثيرا ما ترد الإشارة إليهم في المصادر. فعندما أخرج جعفر المصحفي من سجنه ميتا عام 368هـ/978م "دعا له محمد بن مسلمة بغاسل، فغسله"<sup>2</sup>، ولما تحدث التادلي عن موت أبي علي سالم بن سلامة السوسي (ت589هـ أو 590هـ/1193-94م) بسجلماسة

أورد على لسان مخبره "فأرسلنا في السحر إلى الغاسل"<sup>3</sup>. فهناك؛ إذن، غاسلون محترفون. ويظهر وكأن المؤذنين في المساجد يختصون بهذه المهنة أكثر من غيرهم. وقد ورد الحديث عن غسل مؤذن لميت في جنازة محمد بن أيوب بن محمد بن أيوب الغافقي (ت608هـ/1211م) ببلنسية<sup>4</sup>، وإسماعيل الخزرجي (ت685هـ/1186م) من بادس والذي يظهر من كلام غاسله أنه اعتاد غسل الموتى، حيث قال: "غسلت جملة من الصالحين والفقهاء"<sup>5</sup>.

واحتفظت لنا المصادر ببعض الأسماء المشهورة في غسل الأموات، ومنهم أبو عثمان سعيد بن محسن الغاسل (ت401هـ/1010م)، وهو قرطبي متفقه تولى القضاء والشورى و"كان يختص بغسل موتى أولى النباهة"<sup>6</sup>، وأحمد بن محمد بن سعيد ابن الفراء (ق5هـ/11م) وهو قرطبي سكن اشبيلية بعد الفتنة عالم في الفقه والقراءات "وكان من أهل الخير والفضل، وكان يغسل الموتى"<sup>7</sup>، وأحمد بن محمد بن عفيف الأموي (ت420هـ/1029م) من قرطبة واعتنى بالفقه وعقد الوثائق وعلوم أخرى، ثم مال إلى الزهد وعلم القرآن، ومارس الوعظ وتولى القضاء والصلاة والخطبة و"كان يغسل الموتى ويجيد غسلهم وتجهيزهم، وقد جمع في ذلك كتابا حافلا". سماه كتاب الجنائز<sup>8</sup>، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الغاسل (ت572هـ/1176م) وهو غرناطي فقيه فاضل صليب في الدين قوال للحق وغاسل للموتى ابتغاء الثواب والأجر، وفاق في ذلك أقرانه اتقاناً<sup>9</sup>، وورثه ابنه أبو جعفر أحمد (ت597هـ/1201م) وكان يجمع نفس خصال والده<sup>10</sup>. ويمكن من خلال تتبع سير هؤلاء الغاسلين أن نستنتج أن عددهم كبير داخل المدينة الواحدة، وكون المهنة تتوارث ما بين الآباء والأبناء، واتصاف الغاسل بالتقوى والورع والعلم وإتقان المهنة، وهذا ما يضمن للميت تطهيراً متقناً.

عادة ما يعني احتراف مهنة وتوارثها إدارتها لعائد مادي يكفل لصاحبها معاشه، وإذا كنا قد لاحظنا أن بعض الغاسلين لا يأخذون أجراً، فالطبيعي هو أن يكون لهم أجر يتقاضونه من أهل الميت، وهو ما يستنتج مما سبق، فالحديث عن عدم أخذ الأجر والتطوع يعني أن هناك من يأخذ أجراً. ووجدنا أيضاً إشارة إلى هذا الأجر في وصية لميت غرناطي (ت666هـ/1267م)<sup>11</sup>.

فغسل الميت؛ إذن، يتم مقابل أجر.

إن تتبع سير بعض الغاسلين يظهر أنهم على علم وفقه وهذا يضمن للميت غسلا متقنا، لكن النصف الثاني من القرن 4هـ/10م شهد تطورا جديدا في الميدان، فلم يعد الميت يبحث عن غاسل فقط، بل يريد غاسلا زاهدا لمباركة جسده، لذلك صادفنا مجموعة من الوصايا التي تؤكد على تحديد اسم الغاسل، وسنكتفي بالإشارة إلى علاقة الغاسل بالميت. فأبو جعفر عمر بن عبادل الزاهد (ت378هـ/988م) من رية يوصي صديقا له بغسله<sup>12</sup>، وكذلك فعل يحيى بن عبد الرحمن الأصمهاني (ت608هـ/1211م) من غرناطة<sup>13</sup>، أما آخرون فيبحثون عن متصوفة وزهاد، فعندما "حضرت المنصور [الموحدي عام 595هـ/1199م] الوفاة عهد أن يتولى غسله أبو موسى [عيسى بن عبد العزيز بن يلبخت] تبركا به، فكان كذلك"<sup>14</sup> والرجل نحوي وصوفي وزاهد وصاحب الخطبة بجامع القصبية.

وتظهر هذه النماذج أن هناك تغيرا في معيار اختيار الغاسل، فلم يعد الإتقان لوحده كافيا، بل صار ضروريا أن تضاف إليه الصداقة وخاصة الزهد. وهذا يحقق للميت؛ كما سبق وأن وضعنا ذلك أعلاه، الستر لعيوبه وكذلك إضفاء البركة على جسده بلمس الولي له.

2-التحنيط: بالعودة إلى المعاجم والقواميس اللغوية نجد أن كلمة تحنيط تعني: في لسان العرب<sup>15</sup>: الحنوط والحناط: طيب يخلط للميت خاصة، ونقول تحنط به الرجل وحنط الميت تحنيطا. وتجعل الحنوط في أكفان الموتى وأجسامهم خاصة. "وهذا يدل على أن كل ما يطيب به الميت من ذريرة أو مسك أو عنبر أو كافور من قصب هندي أو صندل مدقوق فهو كله حنوط."

وفي الصحاح<sup>16</sup>: الحنوط: ذريرة، ويحنط به الرجل وحنط الميت تحنيطا. ويتفق التعريفان على أن الحنوط هو طيب يوضع على أجساد الموتى، وبذلك يكون التحنيط تطيب جسد الميت، وهو يختلف عن معنى التحنيط عند الشعوب القديمة والذي يقضي بحفظ الجسم من الفساد وبقائه على شكل مومياء. اعتاد الأندلسيون الإكثار من الطيب في حنوطهم واستعملوا عطورا رفيعة فيه. فمثلا استحدثت فينان حظية الأمير محمد استخدام الغالية في تحنيط الأمويين

عندما مات ولدها الأصبغ بن محمد، ولما قتل المنصور العامري غالب الناصري بعث برأسه إلى ابنته وزوجته أسماء فغسلته بماء الورد ونثرت عليه مسكا كثيرا قبل أن تبعثه إلى الخليفة هشام وذلك عام 371هـ/980م<sup>17</sup>. واستخدم الأندلسيون ماء زمزم في حنوطهم كما ورد عن القاضي يحيى بن وافد (ت404هـ/1013م)<sup>18</sup> وشخص آخر أشارت إليه إحدى الفتاوى<sup>19</sup>. وأدخل المنصور العامري في حنوطه غبارا كان يجمعه مما يتراكم على ملابسه أثناء جهاده<sup>20</sup>، وهو؛ كما سبق وأن وضحنا ذلك، رمز مركز لعمل كبير يتشفع به المعني بالأمر.

حرص بعض الأشخاص على إعداد حنوطهم في حياتهم كما فعل أبو حفص عمر بن عبادل الرعياني (ت378هـ/981م) من رية<sup>21</sup> والقاضي ابن وافد<sup>22</sup>.

واعتماد الحكام الأمويون الإنعام على المقربين منهم بحنوط إضافة إلى باقي وسائل التجهيز، فعندما مات سعيد بن الحكم الرضي (ت240هـ/855م) "أرسل الأمير محمد بكفنه وحنوطه وطيبه من عنده"<sup>23</sup>، ولما مات أبو محمد الأصيلي (ت392هـ/1001م) "جهزه المظفر بن أبي عامر عاداته للنهاء، أرسل لابنه أكفانا له وحنوطا من عنده"<sup>24</sup>.

إن العناية بالحنوط بهذا الشكل من قبل أهل الأندلس خاصة والمغرب أيضا بالرغم من أن مصادرها لم تقدم لنا ولو شهادة عن ذلك، تبرز رغبة الأهل والأولياء في أن يقابل الميت ربه في أحسن صورة وأطيب رائحة، لكنه في العمق يعبر عن الاشمئزاز من تفسخ الجسم وتنتونه، وهذا الطيب؛ ربما، يخفف منها، خاصة وأن الناس يخلون من نتونة قبور موتاهم، وقد نذهب بعيدا ونقول إن الناس يعتمدون على رائحة القبر لتحديد مصير الميت والحكم عليه، فكلما كانت رائحته تننة كلما اعتقد أنه من المغضوب عليهم.

ونحن نتحدث عن التحنيط بمعنى التطيب ألم يكن لأهل المغرب والأندلس اهتمام بحفظ الأجساد ومنعها من الفساد؟ الحقيقة أننا لم نصادف ولو إشارة واحدة توحى بذلك، ولعل الاعتقاد في عدم بعث الأجساد خاصة اللحم كان وراء هذه اللامبالاة. وأكثر من هذا فقد كان من الغرائب إيجاد أجساد موتى في قبورها لم تتعرض للفساد بعد مدة من دفنها، ونظر إلى ذلك على أنه كرامة. وقد وردت أمثلة كثيرة في المصادر نكتفي بذكر اثنين منها وهما: ابن حبيب الذي وجد جسده وافرا بعد

دفنه بنصف قرن<sup>25</sup>، وكذلك القاضي ابن حمدين (ت546هـ/1151م) الذي وجد وافرا بعد دفنه بعشرين شهرا في مقبرة مالقة<sup>26</sup>. ولكن عدم تحنيط الأجساد للاحتفاظ بها لا يعني عدم وجود أي محاولات لحفظ أجساد لأغراض أخرى خاصة حفظ بعض الجثث لنقلها إلى مكان بعيد ودفنها به أو للتمثيل بها خاصة أجساد المغضوب عليهم. فعندما قتل عبد الرحمن الداخل الثائر العباسي العلاء بن مغيث عام 146هـ/761م "أخذ رأسه، وفرغ وحشي ملحاً وصبراً" وبعث به إلى مكة أو القيروان حسب الروايات<sup>27</sup>، وعند قتل ابن عبد الجبار لعبد الرحمن شنجول (ت399هـ/1008م) "شق بطنه ونزع ما فيه وحشوه بعقاقير تحفظه"<sup>28</sup>، وصبر عبد المومن بن علي رأس تاشفين بن علي وبعثه إلى تينمل عام 539هـ/1144م<sup>29</sup>، وبعث الرشيد الموحي رأس عمه يحيى في زق عسل إلى مراكش عام 633هـ/1235م<sup>30</sup>، ولما أراد الموحدون نقل أبي يعقوب يوسف من اشبيلية إلى مراكش عام 580هـ/1184م، صبروه وبعثوه في تابوت<sup>31</sup>. لقد كان هذا الحفظ مؤقتاً ومرتبطة بأمور دنيوية أكثر منها أخروية.

ويحظى التحنيط بعناية كبيرة في المغرب والأندلس، حيث وجد تجار متخصصون في إعداد الحنوط وبيعها لمن يحتاجها، بالرغم من أنها كانت من المهين الممقوتة من قبل المجتمع كما يظهر من قول شائع أورده ابن الخطيب يقول: "لا تدخل ولدك جزارا ولا حناطا ولا بائع كفن، قيل في الجزار للآزم القساوة، وفي الحناط أو بائع الحنوط والكفن لما يلزم ذلك من حب غلاء الأسعار على تأويل أو حب كثرة الموت الواقع في الناس"<sup>32</sup>. وصادفنا شخصا من قرطبة ينعت بالحناط (ت388هـ/997م)<sup>33</sup>، لكننا لم نستطع تحديد أصل النعت هل لأنه يبيع الحنوط أو الحنطة (القمح).

كان تحنيط الموتى في المغرب والأندلس عملية تطيب للأجساد لتقابل ربه بأحسن رائحة؛ وربما، هو رفض لعملية الفساد والرائحة الكريهة التي تنبعث منها. واقتصر التحنيط بمعنى الحفظ على الأجساد التي يراد نقلها لمسافات بعيدة أو تلك المغضوب عليها والتي يراد التمثيل بها والتشفي من صاحبها وأهله.

3- التكفين: يمثل الكفن عنصراً أساسياً في تجهيز الميت، وتعرفه المعاجم كما يلي:

-لسان العرب<sup>34</sup>: الكفن: التغطية، ومنه سمي كفن الميت لأنه يستتره، الكفن: لباس الميت والجمع أكفان.

-محيط المحيط<sup>35</sup>: كفن الميت ألبسه الكفن، وكفن الميت بمعنى كفنه وتكفن به توارى، الكفن برد ونحوه يلبسه الميت، وهو مأخوذ عن معنى الستر والموارة، والجمع أكفان؛ فالكفن هو التغطية والستر ولباس يستتر به الميت. ووجد في المدينة المغربية-الأندلسية أشخاص متخصصون في صنع الأكفان وبيعها، ويدعى القائم على هذه المهنة كفان<sup>36</sup> وأكفاني<sup>37</sup>.

وتوفر مصادرها مجموعة من النصوص التي تبرز مدى حرص الناس على توفير المال الضروري لشراء الكفن قبل موتهم، فأبو وهب عبد الرحمن العباسي الزاهد (ت344هـ/954م) من قرطبة لما وجد ميتا في منزله، وجد جيرانه إلى جانبه قطعاً نقدية كافية لشراء كفنه<sup>38</sup>، وكذلك فعل أبو موسى الدكالي (ق6هـ/12م) من سلا<sup>39</sup>. وكان آخرون يعدون أكفانهم في حياتهم<sup>40</sup>. وعرفت الوصايا التي تنص على تحديد طبيعة الكفن تزايداً كبيراً منذ القرن 4هـ/10م<sup>41</sup>. ولا يمكن فهم هذا الحرص على إعداد الكفن أو تحديد مواصفاته إلا إذا ربطناه بالتقاليد السائدة في المجتمع المغربي-الأندلسي. فقد كان هم كل الناس وهاجسهم منصبا على شراء الكفن من مال حلال. فالمنصور العامري الحاجب الأموي على غناه وثروته الكبيرة "اتخذ أكفانه من أطيب مكسبه من الضيعة الموروثة عن أبيه وغزل بناته"<sup>42</sup> وأوصى أبو موسى الدكالي من سلا جيرانه بدفنه بدراهم تركها وثمان مصحف كان قد اشتراه من أجرة حراسة الكروم في مدينة الإسكندرية<sup>43</sup>، وعندما أرادت ملالة بنت زيادة الله أن تقدم كفناً له قالت عنه: "إن لي كفناً أعددت له لنفسي صنعته من كتان زرعت في أرض موروثة عن آبائي"<sup>44</sup>، وقال أحدهم: تبرع بكفن لمتصوف فقير (ت603هـ/1206م)، بمراكش: "إن عندي كفناً أعددت له لنفسي اشتريته بدراهم نحو ثلاثة دنانير أعطانيها بعض الأكابر" وقال: حصلت لي في واجبي من الغنيمة ببلاد الروم فأثرتني بها.<sup>45</sup>، ولما أراد الغالب بالله النصري تجهيز يوسف بن محمد اليحصبي أخرج جبة بالية زعم أنها من قديم مكسبه من مغنم في بلاد الروم، فبيعت وجهاز بها<sup>46</sup>. فهذه الشهادات تبرز مدى الحرص على معرفة مصدر مال الكفن، ويظهر أن الموروث ومال الغنيمة يعتبر المال الأكثر تفضيلاً.

إلى جانب المال الحلال، فهناك مراعاة السنة في اتخاذ الكفن والتي يوضح هذا النص أهم مقتضياتها: "يستحب أن يكفن الميت في وتر من ثلاثة أثواب أو خمسة أو سبعة، وما جعل له من أزرة وقميص وعمامة فذلك محسوب في عدد الأثواب الوتر، وقد كفن النبي "صلعم" في ثلاثة أثواب بيض سحولية أدرج فيها إدراجا "صلعم"، ولا بأس أن يقمص الميت ويعمم"<sup>47</sup>. ويوضح ابن رشد ذلك أكثر فيقول إن تكفين الرجل يتم في ثلاثة أثواب والمرأة في خمسة<sup>48</sup>، ولو عدنا إلى الوصايا الخاصة بالكفن لوجدنا أنها تركز على أن يكون الكفن مكونا من ثلاثة أو خمسة أثواب<sup>49</sup>.

وتبقى مشكلة مدى توفر الكفن عند الوفاة، فكثير من الناس بعد موتهم لا يجد مجهزوهما ما يكفونهم به، فيدفنون في خرق أو أسمال أو حتى بدون كفن. وخلد الأندلسيون هذا المشكل في مثل شعبي يقول: "فضول سود في خير: مشيت تعزي أبيعت في الأكفان"<sup>50</sup>. ويحتفظ لنا التادلي بحالة من هذا النوع حدثت في مراكش عام 1206هـ/603م، فعند وفاة أبي العباس أحمد بن محمد لم يكن عنده ما يكفن به، فاقتراح قوم جمع ثمنه، قبل أن يتبرع أحدهم بكفن كان أعده لنفسه<sup>51</sup>. لقد كان ناس يعانون من توفير قيمة الكفن، وكان الحل في بعض الأحيان يأتي من تبرعات المحسنين، لكن الحكام قد يتدخلون لحل المشكل. ففي مجاعة ووباء 379هـ/988م، قام المنصور العامري بتكفين كل الأموات من ماله<sup>52</sup>، وتدخل الغالب بالله الغرناطي لتكفين أحدهم بغرناطة عام 660هـ/1261م<sup>53</sup>. وفي مجاعة ووباء عام 724هـ/1324م، قام أبو عثمان سعيد بتجهيز الغرباء وتكفينهم في الثياب الجديدة<sup>54</sup>.

إن هذا الحرص على الكفن وإعداده بعناية يجب أن يكون فقط خاصا بفئة محدودة من المجتمع، أما الأغلبية الساحقة فستكتفي بقطعة واحدة من الثوب جديدة أو قديمة دون التحري عن مصدر ثمنها.

انطلاقا من القرن 5هـ/11م، بدأنا نصادف بعض التصرفات الغريبة في اختيار الكفن، فأحمد بن محمد بن أحمد بن عمرو (ق 5هـ/11م) يوصي بدفنه في ثياب رثة كانت عنده وكان قد طهرها بماء زمزم على أن تغطي بثوب جديد<sup>55</sup>. وطالب أحمد بن عبد الملك بن موسى (ت 533هـ/1139م) من مرسية بتكفينه بثياب شهد بها صلاة الجمعة لمدة أربعين سنة<sup>56</sup>. وورد في فتوى أن أحدهم طلب التكفين في ثوب غسل بماء



زمزم<sup>57</sup>. وذكر أبو عبد الله ابن يوسف السنوسي (ق9هـ/15م) أن بعض المريدين تقربا وبحثا عن بركة الشيخ يكفنون في ثوبه<sup>58</sup>.

يلاحظ أن هذه الملابس المقترحة للتكفين تحمل دلالات عميقة، فهي مشبعة بمعاني القدسية والبركة المنحدرة من المادة المضافة إليها (ماء زمزم) أو من عمل المتوفى أو بركة الولي. واستعمالها يكشف عن شيئين: أولهما الرغبة في عرض الأعمال أمام الأحياء في البداية ثم الخالق في النهاية (إحساس الفخر ليس بعيدا) وثانيهما، البحث عن وساطة وشفاعة هذه الأشياء من أجل تحقيق النجاة.

4- الصلاة على الميت: عادة ما تتم الصلاة على الموتى في المقابر أو المساجد، لكن من يؤم في هذه الصلاة؟ حتى نقرب من واقع الموضوع قمنا بجمع عينة مهمة من أئمة صلاة الجنائز، وفرغناها في جدول بناء على متغير علاقة الميت بالإمام.

| الأئمة<br>القرن | القربة |      | القاضي ونوابه |       | السلطان<br>والولاة | أوصياء | أصدقاء<br>وشيوخ | زهاد |
|-----------------|--------|------|---------------|-------|--------------------|--------|-----------------|------|
|                 | ابن    | قريب | قاضي          | نائبه |                    |        |                 |      |
| 2هـ/8م          | 02     | 00   | 01            | 00    | 01                 | 00     | 00              | 00   |
| 3هـ/9م          | 10     | 05   | 01            | 00    | 00                 | 00     | 00              | 00   |
| 4هـ/10م         | 18     | 10   | 05            | 05    | 05                 | 06     | 00              | 01   |
| 5هـ/11م         | 10     | 07   | 17            | 01    | 01                 | 01     | 01              | 00   |
| 6هـ/12م         | 24     | 09   | 08            | 02    | 02                 | 11     | 01              | 00   |
| 7هـ/13م         | 03     | 00   | 01            | 01    | 01                 | 00     | 00              | 00   |

#### علاقة الإمام المصلي بالميت

يظهر من التمعن في الجدول أن الاهتمام بهذا الموضوع داخل المصادر ومن ورائها المجتمع كان حاضرا بقوة في الفترة الممتدة من القرن 4هـ /10م إلى القرن 6هـ/12م. وإذا تمعنا أكثر نجد أن هناك طرفين يتنازعان حق الصلاة على الميت، فمن جهة نجد القربة، ومن جهة ثانية السلطة الشرعية التي يمثلها القاضي وأعوانه. وهذا يكشف عن الصراع الذي عرفه المغرب والأندلس حول أحقية الصلاة على الميت، حيث يذكر ابن عربي أن هناك اختلافا بين أسبقية الولي (القريب) أو الوالي ووقف إلى جانب الثاني<sup>59</sup>، أما ابن رشد فيقف إلى جانب الولي (القريب)<sup>60</sup>. ويظهر أن هذا الرأي الأخير كان هو الأكثر شيوعا. ففي كل الحالات التي وقع فيها الصدام بين الطرفين رجحت

كفة الولي. فعندما مات يحيى بن يحيى الليثي تقدم القاضي محمد بن زياد للصلاة عليه، فنازعه ابنه إسحاق وصلى بصلاته، ولم يستطع القاضي تبرير تقدمه إلا بتقديم أخيه له<sup>61</sup>، ووقع الاختلاف حول من يصلي على إبراهيم بن محمد بن باز ابن القزاز (ت276هـ/989م) بين ابنه وصديق له، فرجحت كفة الابن<sup>62</sup>. وبالرغم من حضور القاضي ابن السليم في جنازة عام 376هـ/985م، فقد تقدم الابن وصلى على والده وهو ما لم يعجب القاضي وأدبه على عدم استئذانه له فقط<sup>63</sup>. ولما توفي موسى بن يسكر إمام القرويين قدم القاضي ولده للصلاة عليه عام 598هـ/1202م<sup>64</sup>، واجتمع ناس للصلاة على ميت فلم يوجد إمام للصلاة فاتفقوا على أن الحق لولدي الميت<sup>65</sup>.

فهذه الحوادث تثبت أن هناك ميلا نحو ترجيح كفة الأولياء في الصلاة على ميتهم، ولهذا نجدهم يسيطرون داخل الجدول وتراوح نسيم بين 100 و50%، ويشتمل الأولياء على الأبناء أولا ثم الأخوة والآباء والأصهار والأحفاد والأختان ثانيا.

ونلاحظ أن السلطة الشرعية التي يمثلها القاضي قد بلغ حظها أوجه في القرن 5هـ/11م (50% تقريبا) ثم تراجع فيما بعد، فهل هذا راجع إلى تزايد قوة القضاة في عصر الطوائف؟ ربما، كان الأمر كذلك خاصة وأن عددا من القضاة سيطروا على السلطة السياسية في كثير من المدن وعلى رأسهم ابن عباد بإشبيلية، ففرضوا تدخلهم في كل الميادين بما فيها الموت. وربما، كان هذا أيضا نتيجة لرغبة الموتى وأوليائهم في المباهاة، فصلاة القاضي على ميت يعني أن له مكانة، وسيلجأ بعضهم إلى طلب صلاة القاضي عليه في وصيته كما سنبين أسفله.

ويعطينا الجدول نوعا آخر من الأئمة انتدبوا عن طريق الوصية، وبدأ ظهورهم في القرن 4هـ/10م ليبلغ أوجه بعد قرنين من الزمان، فما هي الأسباب الدافعة إلى اختيار إمام في الوصية؟ قد تتضح هذه الأسباب إذا عرفنا بعض خصال هؤلاء الأوصياء، فمن خلال تصفح سيرهم ظهر أن أغلبهم من الزهاد والمتصوفة مثل: عبد العزيز بن أحمد بن جهور (ق4هـ/10م) بقرطبة<sup>66</sup> وأبو جعفر ابن عون الله القرطبي (ق4هـ/10م)<sup>67</sup> ومحمد بن أحمد بن الخلاص القرطبي<sup>68</sup> وابن لبيل الزاهد (ق4هـ/10م)<sup>69</sup> ومحمد بن وضاح (ق4هـ/10م) ومحمد بن جمهون (ق6هـ/12م)<sup>70</sup> وحماد الزاهد (ق5هـ/11م)<sup>71</sup> ومحمد بن خميس الزاهد (ق6هـ/12م)<sup>72</sup>. فهؤلاء يحققون للميت

شيئين اثنين: إتقان الصلاة ومباركة جسده. وآخرون؛ وهم قلة، شخصيات مشهورة خاصة القضاة؛ فمحمد بن علي بن جعفر القيسي الفاسي (ت567هـ/1171م) أوصى أن يصلي عليه القاضي أبو حفص ابن عمر<sup>73</sup>، وأبو القاسم ابن عتاب القرطبي (ت531هـ/1156م) أوصى بالصلاة عليه للقاضي صهره أبي عبد الله ابن أصبغ<sup>74</sup>. واختيار هذه الشخصيات يحمل وراءه البحث عن السمعة والشهرة والمباهاة، دون أن يمنع ذلك من البحث عن إتقان الصلاة وحسن الدعاء.

كانت الصلاة على الميت عملاً تطوعاً ولم نسجل دفع أجر مقابله.

5-الموكب: كان الموكب الجنائزي للميت؛ في العادة، يتكون من أسرته وأصدقائه وجيرانه ومن يريد الأجر، لكن القرن 8هـ / 14م شهد ظهور نوع آخر من الحضور بحيث صار الفقراء يحضرون الموكب بلباسهم الخاص وأناشيدهم وأدعيتهم الجماعية، وحرص عدد من أولياء الموتى على استدعائهم لحضور الجنازة والمشاركة في الموكب؛ فعندما مات أبو سعيد عثمان (ت731هـ/1331م) "استدعي الصالحون لمواراته"<sup>75</sup>، وحمل الزاهد محمد بن إبراهيم بن محمد الأنصاري الصنع (ت749هـ/1349م) إلى قبره "تحفه الأتباع المقتاتون من حل أموالهم وأيديهم من شيوخ البادية فتولوا مواراته"<sup>76</sup>، ويبدو أن المسألة أصبحت عادة حيث صار الناس يستأجرون مباهاة وتفاخراً كما تثبت فتوى أوردها الونشريسي والتي تتناول الموضوع وخلصت إلى تحريم ذلك<sup>77</sup>.

ومرة أخرى يحضر إحساس التشفع والرغبة فيه والبحث عن وساطة الزهاد والمتصوفة الذي اجتاحت المجتمع بفعل نشاط الحركة الصوفية وقوتها. صار المشاركون في الموكب يستدعون للقيام بذلك بمقابل قد يكون طعام الوليمة أو مال يدفع ما دامت مصادرنا لم تفصح عن ذلك.

6- حملة النعش: وسط الموكب يحمل النعش أقرب المقربين من الميت بداية من الأبناء فباقي القرابة فالتلاميذ ثم الأتباع، وحظي الزهاد وبعض الأشخاص بعناية أكبر إذ يتهاقت ناس كثيرون على حملهم. ويظهر أن من لا يملك أسرة لحمله يضطر إلى استئجار حمالين ودفع أجره لهم، كما تؤكد وصية لأحد الغرناطين (ت666هـ/1267م) مات دون وريث وحدد فيها أجره الحمالين<sup>78</sup>.

لقد وجد حملة مستأجرون يساعدون من لا أولياء لهم.

7- الباكيات على الميت: كانت عادة المغاربة والأندلسيين أن تجتمع النساء في بيت الميت لبكائه، لكن الأمر قد يتجاوز القريبات لتشارك في المآتم نساء غريبات مستأجرات، بحيث ظهرت مهنة جديدة وهي مهنة النوح والبكاء على الموتى، إذ وجدت نساء متخصصات في البكاء، ويفترض أنهن يتخذن لباس الحداد ويتقن فن الترجيع وترديد محاسن الموتى. وقد ورد الحديث عنهن في الأمثال الأندلسية بشكل غير مباشر<sup>79</sup>، ومن الأمثال المعروفة في الموضوع:

- ليس ذا البكا على ذا الميت.

- لو عطيتني بضيع، كان نبكي معك دميع.

- ما كل من حزنت فجدرت، ولا من له ميت بكيت.

والأمثال تشير إلى مسألة تصنع البكاء أو البكاء مقابل الأجر، وذكرهن ابن حزم أثناء حديثه عن حضور مأتم في قرطبة<sup>80</sup>، وكذلك الداودي الذي اعتبر ما يحصلن عليه من مال حراماً<sup>81</sup>، وفي استئجار البواكي بحث عن تفخيم المآتم وإظهار ضخامة المصيبة، وهذا نوع من الدعاية لمكانة الميت وأسرته.

وتستعين النساء أيضاً ببعض المنشدين المخنثين الذين يحضرون تلك المآتم "وهم لابسون ثياب النساء، ليضربوا على دفوف مربعة ويرتلون أنظاما حزينة مبكية في رثاء الميت. وفي آخر كل بيت تصيح النساء ويخدشن صدورهن وخدودهن حتى يسيل منها الدم بغزارة وينتفن شعورهن نائحات مولولات"<sup>82</sup>، وقد تعتمد النساء على أنفسهن ويضربن على الدفوف والمزامير ويخرجن إلى الأزقة<sup>83</sup>، وهذا تقليد؛ دون شك، للحضرة الصوفية ولو بشكل مشوه.

لقد صار الناس يستأجرون نساء ومخنثين لبكاء موتاهم في المآتم.

8- القراء على القبر: خلال المآتم أيضاً تنظم حلقات لقراءة القرآن على روح الميت، حيث كان من بين الحضور في مآدب المآتم القراء والمؤدبون وهم الذين يتكفلون بالتلاوة، ويجتمعون إما في دور الموتى أو في المقابر أو في المساجد أو في غيرها<sup>84</sup>. واحتفظ لنا عياض بنص يحدد بداية هذه العادة في الأندلس بمناسبة حديثه عن مأتم ابن العطار القرطبي (ت399هـ/1008م) جاء فيه: "وانتاب قبره طلاب العلم أياما

ختم قراؤهم على قبره ختمات توزعوها، وذلك أمر لم يعهد قبل بالأندلس<sup>85</sup>؛ فالنص واضح العبارة، ويشير إلى بداية الظاهرة في نهاية القرن 4هـ/10م، وليست قراءة القرآن هي الجديدة، إنما الجديد هو اقتسام القرآن وتلاوته كاملاً وبانتظام على قبر الميت. ومنذ هذا التاريخ أصبحت قراءة القرآن أمراً أساسياً في التأبين، وقد تضمنت وصايا الفترة قراءة القرآن على القبور مقابل أجر أو وقف يعين لذلك<sup>86</sup>.

وفي عهد بني مرين صار ترتيب القراء وتعيين الأوقاف لهم للقراءة على القبور أمراً متداولاً، حيث عين أبو يوسف يعقوب المبريني قراء لتلاوة القرآن على قبور أسلافه بتافراط واست ووقف عليهم ضياعاً<sup>87</sup>، وكذلك فعل أبو عنان بالنسبة لمقبرة شالة<sup>88</sup>، وعين آل نصر بغرناطة قراء على قبورهم<sup>89</sup>، ونفس الشيء فعله ابن الخطيب بقبر زوجته بسلا<sup>90</sup>.

واعتاد الناس القراءة على الميت، حتى قبل دفنه؛ فبعد وفاة يعقوب المنصور الموحيدي بمراكش (ت595هـ/1199م) رتب القراء عليه يوماً كاملاً<sup>91</sup>، وأقام القراء على قبر أبي موسى الدكالي (ق6هـ/12م) بسلا سبعة أيام كاملة<sup>92</sup>، "وبقي القراء يقرأون (...)" مدة طويلة على قبر ابن الحلفاوي (ت715هـ/1315م) بغرناطة<sup>93</sup>، ورتب القراء على قبر أخت أبي عنان بشالة يواصلون الختمات صباح مساء<sup>94</sup>.

لقد صارت القراءة على القبر شائعة ومطلوبة، مما دفع إلى تطور مهنة القراءة على القبور، وامتدتها بالخصوص العميان عامة والشيوخ منهم خاصة<sup>95</sup>، وقد تعرفنا على بعض الأسماء التي مارست المهنة نذكر منها: عبد العزيز بن منيع أبو الأصبغ الضير (ت ما بين 670هـ و680هـ/1271 و1281م) من وادي آش وكان حافظاً للقرآن عفيفاً ثقة من أهل الخير "يتحرف بالقراءة على القبور"<sup>96</sup>، وأحمد بن محمد القرطبي العبدري (ت617هـ/1220م) من غرناطة يقرأ بالسبع، وكف بصره "واضطرب بعد وفاة أبيه إلى التحرف بالقراءة على القبور"<sup>97</sup>، ومحمد بن محمد النمري الضير (ت736هـ/1336م) من غرناطة وهو حافظ للقرآن وجميل الصوت وواعظ وحافظ للأناشيد اختص بالقراءة على قبور بني نصر<sup>98</sup>.

انتشرت القراءة على القبور، وأثارت اهتمام العلماء، فجاءت آراؤهم متضاربة<sup>99</sup>؛ فابن عتاب<sup>100</sup> والعقباني<sup>101</sup> يميلان إلى الإباحة، واشترط ابن عبدون أن يكون القارئ

شيخا ضريرا<sup>102</sup>، واعتبرها القرطبي<sup>103</sup> وأبو إسحاق الشاطبي<sup>104</sup> بدعة يكره الأجر عليها؛ فالعلماء على عاداتهم تساهلوا في الحكم على هذه البدعة وسايروا التيار. لقد تحدثنا عن القراءة على القبر عامة، لكن متى يقرأ القرآن أثناء المآتم؟ يظهر أن القراءة ليست لها أوقات محددة، فقد تدوم يوما كما كان شأن يوم وفاة يعقوب المنصور الموحيدي، أو سبعة أيام كما حدث على قبر أبي علي الدكالي بسلا أو أكثر كما حدث على قبر ابن الحلفاوي بغرناطة أو فقط يوم السابع<sup>105</sup> أو اليوم الثاني بعد الوفاة<sup>106</sup>؛ فليس هناك اتفاق على يوم محدد مع أن الأيام السبعة الأولى تعرف نشاطا كثيفا في هذا الميدان.

9- الرثاء: انتشرت في الأندلس عادة استئجار الشعراء لرثاء الموتى، حيث كان أولياء الموتى يبحثون عمن يرثي لهم موتاهم ووجدوا شعراء مستعدين لتقديم الخدمة مقابل أجر يتفق الطرفان عليه؛ فمثلا أورد ابن خاقان حديثا عن أحدهم ماتت له أخت (ق5هـ/11م)، و"ندب الشعراء إلى رثائها وتأييدها وإيضاح فضائلها" ففعلوا<sup>107</sup>، وجاءت امرأة إلى الشاعر جعفر بن لب بن محمد اليحصبي (ت 590هـ/1194م) في شاطبة، وطلبت منه رثاء ولدها فاستجاب لها<sup>108</sup>.

توضح هذه الشهادات أن رثاء الميت صار ضرورة اجتماعية، وتجاوز الشخصيات الكبيرة ليصل إلى عامة الناس، واستؤجر الشعراء للقيام بذلك تماما كما يفعل بقراء القرآن في المآتم أو على القبر.

10- حفار القبور: لم نستطع جمع معطيات مهمة حول هذا الموضوع، لكن الأساس فيه هو أن أهل المغرب والأندلس اعتنوا بإعداد قبور موتاهم حفرا وبناء، لذلك تخصص ناس في حفرها وإعدادها مقابل أجور يتلقونها من ولي الميت أو من الأموال الخاصة بالمقابر<sup>109</sup>، ويظهر أن سمعة حافر القبر كانت سيئة في المجتمع على غرار أصحاب المهن الخاصة بالموت حيث يردد الأندلسيون مثلا يقول: "نية حفار القبور"<sup>110</sup> تعبيرا عن سوء نيته وهو يعد القبور.

ويبنى القبر ويعد وفق مواصفات شرعية واجتماعية محددة مما يفرض توفر حرفيين مختصين في الميدان؛ فالموتى المسلمون يدفنون على جانبهم الأيمن ووجوههم موجهة نحو القبلة لذلك فرؤوس موتى المغرب والأندلس ستتوجه نحو جنوب الأرض

وأرجلهم نحو القطب الشمالي، وهذا الوضع في الدفن يسمح بتضييق القبر، حتى أن المسلمين يتحدثون عن عرض لا يتجاوز الشبر أو الذراع؛ فمثلا كتب أبو بكر عبد العزيز بن سعيد البطليوسي (ق5هـ/11م):

وواعجبا للأرض حين ملكتها ومت ولم يسترك من عرضها شبر<sup>111</sup>  
وقال أحمد بن أيوب اللمائي (ت 465هـ/1073م)<sup>112</sup>:

ولم يكن حظي غير ما أنت مبصر بعينك ما بين الذراع إلى الشبر  
بينما يبقى الطول رهينا بطول الميت نفسه إذ يقاس قبل الحفر، والعمق رهين  
بتقدير حافر القبر والقائمين عليه، وكذلك مدى صلابة الأرض، ويظهر أن مدينة مثل  
إشبيلية كانت تعرف خلال القرن 5هـ/11م تقصيرا في تعميق القبور، مما دفع  
المحتسب السقطي إلى حث القاضي على التشدد في أمر حافري القبور بتعميقها لمنع  
روائحها من التسرب، وإبعاد الحيوانات المفترسة عن نبشها<sup>113</sup>، لكن يظهر أن هذه  
المقاييس لا تحترم وبخاصة ما يتعلق بالعرض، حيث يوسع القبر حسب مدى بدانة أو  
نحافة الميت، وكذلك حسب مدى صلابة أو هشاشة الأرض، فالتربة الهشة عادة ما  
تساهم في توسع القبر عن طريق التهدم.

بعد حفر القبر يتم ترصيف وبناء جانبيه باللبن<sup>114</sup>، وقد كشفت الأبحاث الأثرية  
عن خزف جنائزي مكون من لبن تسمر في الأرض ملمعة في جزئها العلوي في مالقة  
وغرناطة ومرسية وغير ملمعة في طليطلة، وتزين بخطوط وكتابات أندلسية وأشكال  
هندسية ملتوية، وأحيانا تزود بأغطية<sup>115</sup>، وقد يعوض اللبن بالحجارة التي تجمع  
وتستعمل دون تهذيب أو صقل<sup>116</sup>، ويغطي القبر بالخشب قبل أن يمال عليه التراب<sup>117</sup>،  
وربما كانت القبور تزود بلحود بالرغم من أننا لم نصادف إشارات توضح ذلك  
باستثناء واحدة تتعلق بابن الخطيب بفاس عام 776هـ/1375م جاء فيها: "وردوه إلى  
حفرتهم وشنوا عليه التراب شنا من غير تسوية عليه بلحد، وأنكر فعل ذلك على بني  
ميرين"<sup>118</sup>، وهذا الاستنكار قد يقوم دليلا على انتشار عادة اتخاذ اللحد في مدينة  
فاس وكثير من مدن المغرب والأندلس.

وتسمح لنا النصوص المتوفرة والأبحاث الأثرية وكذلك الآثار المتبقية من الفترة  
الوسيطة بالتمييز بين ثلاثة أشكال رئيسية من القبور.

\*القبور المسنمة: تتكون من حافتين مائلتين تلتقيان في الأعلى لتشكلا عرفا يمتد على طول القبر، وهذا النوع واسع الانتشار وأكثر تداولا في قبور العصر الوسيط؛ فقبور أبي الحسن المبريني بشالة من هذا النوع، وذكر ابن خلدون أن قبور تافراطست أيضا أسنمة رخام<sup>119</sup>، وأكد الوزان أن قبور فاس أسنمة من تراب<sup>120</sup>.

\*القبور التي تشبه أحواضا: وقد اكتشفت في مدينة فاسكوس، حيث يكون القبر مستطيلا وتوضع على زواياه الأربعة أربع شواهد<sup>121</sup>، وتوجد أيضا خلف قبة الدفن الرئيسية في شالة بالرغم من أنها تحتوي فقط على حاجزين عند الرأس والأرجل مكونين من صخر الشست وتلصق بالموجود عند الرأس شاهدة.

\*القبور المسواة بالأرض: يوجد هذا النوع في قبة أبي الحسن المبريني بشالة وهي مزخرفة بالزليج الملون، ويفضل الصالحون هذا النوع؛ ففي ضريح أبي مدين شعيب بعباد تلمسان وجد قبر أبي موسى ابن يلبخت (ت703هـ/1303م) "وهو لاطئ بالأرض وسط قبة بين قبري أبي شعيب وابن ابنه الناسك الورع أبي محمد"<sup>122</sup>.

فهذه الأنواع الثلاثة من أشكال القبور منتشرة في المغرب والأندلس ومستعملة من قبل الأغنياء والفقراء مع أن النوع المسنم أكثر انتشارا. ويظهر الاختلاف في المكانة الاجتماعية في مستوى الزخرفة، فإذا كان الفقراء يكتفون بوضع التراب على شكل سنام وعلامة عند رأس ورجل الميت مكونة من حجارة طويلة<sup>123</sup>؛ فإن الأغنياء يتأنقون ويتفننون في بناء قبورهم؛ فمثلا كتب عامل يعقوب المنصور الموحيدي على سلا إليه يصف له قبرين بناهما: "بنيت قبريهما بالكدان والرخام، وجعل يذكر حسنهما"<sup>124</sup>. وكانت قبور مالقة في القرن 6هـ/12م غاية في الزخرفة والزينة<sup>125</sup>، وبنى يعقوب المنصور المبريني قبور أسلافه بتافراطست بالرخام ونقشها بالكتابة<sup>126</sup>، وكذلك فعل بنو مرين بقبور شالة والقلعة، وهي متاحف حية تشهد على ما كان سائدا في عصرها. لقد كان الأغنياء مهتمين بقوة بتجميل قبور موتاهم بحثا عن المباهاة والمفاخرة.

لم يكن بناء القبور ورفعها عن الأرض مرضيا عند أهل السنة، أما زخرفتها فهي تثير غضبهم، وظهر موقف أهل الفقه من خلال فتوى وجهت لابن رشد بشأن قبر رفع حوالي عشرة أشبار وأزيد، فأمر بهدمه، ونفس الموقف وقفه ابن الحاج ومعهما عياض<sup>127</sup>.



لقد تطلب بناء القبر وإعداده مهارة حرفيين خبراء يحاولون الاستجابة لمتطلبات الأولياء الاجتماعية، ويخضعون لمراقبة الفقهاء وتوجيهاتهم وتصحيحاتهم المستمرة كلما طرأ طارئ يبدو أنه يخالف السنة.

11- صناعة التوابيت وشواهد القبور: في الأندلس خاصة المرية اكتشفت مجموعة من التوابيت الفاخرة المصنوعة من الرخام تعود إلى العصر المرابطي، ولم يعثر إلا على نموذج واحد من خارجه<sup>128</sup>، وتتكون هذه التوابيت من أربع بلاطات توضع على جوانب القبر الأربعة وتنتهي في حافاتها بمشابك تمكن من ربطها مع بعضها البعض لتشكل صناديق كاملة، وبعض هذه التوابيت أملس، بينما البعض الآخر مزين برسوم هندسية ناتئة ومتشابكة وكتابات بالخط الكوفي تكرر عبارات: "المجد يدوم لله" و"العافية" و"الملك يدوم لله"<sup>129</sup>، وهذه توابيت فخمة جدا مما يظهر طابع المفخرة والتباهي الذي ساد أوساط الأغنياء في هذه المدينة، ويبرر السيد عبد العزيز سالم اختفاء هذه التوابيت بعد المرابطين بكون بني الأحمر قد احتكروا استخدام الرخام في قصورهم<sup>130</sup>، إلا أنه أغفل أن هناك قرنا من الزمان مرقبل مجيء بني الأحمر، وهو عصر الموحدين؛ فماذا كان تأثيرهم في ذلك؟ من المعروف أن الموحدين تميزوا بتقشفهم الكبير، وقد تركوا أثرا عميقا في الفن ووجهوه نحو القوة والبساطة<sup>131</sup>، وكانت منشآتهم الجنائزية بسيطة بما فيها قبر المهدي<sup>132</sup>، ورفض يعقوب المنصور الموحي بناء وزخرفة قبرين لقريبين له معتبرا ذلك من تصرفات الجبابة<sup>133</sup>؛ فالموحدون باتجاههم هذا قد تدخلوا في الفن الجنائزي وأوقفوا جانب الزخرفة والمباهاة، وركزوا على الجانب الروحي مما زاد من توقد المشاعر الدينية مستفيدين من دعم الحركة الصوفية.

واستعملت بشكل أكثر شيوعا توابيت خشبية خاصة بالنسبة للفئات العليا في المجتمع، والتابوت عبارة عن صندوق يصنع في حجم الميت ويدخل فيه ويوضع في القبر<sup>134</sup>، وقد ظلت هذه العادة حاضرة في المنطقة طيلة فترة العصر الوسيط. فمنذ القرن 3هـ/9م، كتب أصبغ بن خليل (ت273هـ/886م) "لأن يكون في تابوتي رأس خنزير أحب إلي من أن يكون فيه مسند ابن أبي شيبه"<sup>135</sup>، وفي هذا إقرار باستعمال التابوت في الدفن. ولما مات أبو يعقوب يوسف الموحي "أدرج في تابوت"<sup>136</sup>، وألحد ابن حوط

الله الأنصاري (ت612هـ/1215م) في تابوت<sup>137</sup>. كما أن أهل أبي محمد عبد الواحد بن الحسين الجوطي أعدوا له تابوتا لدفنه بأغمات قبل 678هـ/1279م<sup>138</sup>. ولما توفي القاضي أحمد بن محمد بن أحمد بن قعنب ببرجة (ت732هـ/1332م) "انتقل منها في وعاء خشب ودفن بمقبرة البيرة" بغرناطة<sup>139</sup>.

وتبقى التوابيت من نصيب الأغنياء، أما عامة الناس فالدفن يتم دونها، وفي أحسن الأحوال يفرش القبر بالرمال ليصبح ناعما<sup>140</sup>.

ولا شك في أن هذا الطلب على هذه التوابيت قد نشط صناعة الرخام بالمدينة وضخم مداخيل الصناع والحرفيين مما سيزيد من الإقبال على صناعتها والتفنن في زخرفتها.

وعرفت شواهد القبور بدورها تطورا كبيرا وانتشارا واسعا خاصة في الأندلس. والشاهدة عبارة عن لوح من الحجر أو الخزف أو أي مادة تستعمل على القبور من أجل التعريف بصاحب القبر وحفظ اسمه ومنع اختلاطه بغيره من القبور، وبالرغم من معارضة العلماء لكل أشكال البناء على القبور، فقد تسامحوا في اتخاذ الشاهدة بناء على أثر يستدلون به<sup>141</sup>، لذلك انتشرت عادة اتخاذها في كل العالم الإسلامي. واختصت الأندلس بتراثها الغني والكبير بالشواهد؛ فمتاحف إسبانيا والبرتغال تعج بالشواهد الوسيطة، وتضاف إليها يوميا اكتشافات جديدة من هذا النوع. وعكس ذلك، فرصيد المغرب منها محدود، ويقتصر على مدن مثل فاس ومراكش، وأحيانا نجد لها خاصة رجال من العصر الوسيط، لكنها كتبت في عصور متأخرة كما أكد ذلك دوفردان<sup>142</sup>، وكشف الباحث الفرنسي بروسلا عن ثروة كبيرة من شواهد تلمسان خاصة من القرون 14 و15 و16م<sup>143</sup>، وكل هذه المادة المتوفرة، إضافة إلى ما ورد مكتوبا داخل المصادر المختلفة، يمكنها أن تساعد على معرفة بعض خصائص الشواهد وأهم الأفكار التي تحملها عن الموت.

اهتم الأندلسيون بوضع الشواهد على قبورهم منذ فترة مبكرة وأعني القرن 3هـ/9م، كما توضح إشارات ابن الفريسي الغنية والكثيرة<sup>144</sup>، وانطلاقا من منتصف القرن 4هـ/10م صار الأشخاص يعدون شواهد قبورهم في حياتهم أو ما يكتب عليها ثم يوصون بوضعها على القبر، وأقدم شهادة حصلنا عليها تتعلق بالزاهد أبي وهب

العباسي الهاشمي (ت344هـ/954م)، حيث ترك حجرا كتب عليه أبياتا وأوصى بوضعه على قبره<sup>145</sup>، ثم توسعت الظاهرة خلال القرون الثلاثة الموالية، ذلك أن كثيرا من الشعراء كانوا يعدون شعرا ليكتب على قبورهم، وكل هذا الحرص على إعداد الشهادة ليس اهتماما فقط بالشهادة لأنها أمر مألوف ومضمون حتى دون التأكيد عليه، بل هو اهتمام بما تحتويه من مضامين، وهو ما سنعود إليه فيما بعد.

منذ عقد الثلاثينيات من هذا القرن قام ليفي-بروفنصال بدراسة الشواهد المتوفرة في الأندلس وبناء على الشكل والزخرفة قسمها إلى أربعة أصناف<sup>146</sup>، وأخذ عنه هذا التقسيم طوريس بلباس<sup>147</sup>، ثم وظفه كل الذين يدرسون الشواهد في إسبانيا، وتضم الأصناف المحددة:

1- الشكل المربع أو المستطيل: الذي يوضع عند رأس الميت، وهو الشكل الأكثر انتشارا وقدمًا. وتوضع الكتابة وسط اللوحة ويحيط بها إطار يحدد مجال الكتابة على الجوانب الأربعة أو فقط ثلاثة منها (يترك الأسفل مفتوحا).

2- الشكل الأسطواني: ويكاد يقتصر على طليطلة وضواحيها، وظهر في نهاية القرن 4هـ/10م، ثم توسعت في القرن الموالي. وتوضع الكتابة في شكل مستطيل في جزئها العلوي، وتصنع من الرخام أو الحجر الرملي.

3- شاهدة المرية أو الشاهدة المرباطية: وتمثل أشكال محاريب عقودها متجاورة منكسرة، تحملها عمد على مناكب ويدور بالعقود طرر مستطيلة الشكل تعلوها أفاريز، وتحف بهذه الأفاريز والطرر نقوش كتابية، وتغطي المحاريب المنقوشة كتابات جنائزية<sup>148</sup>، وقد انتشرت في النصف الأول من القرن 6هـ/12م، ودخلت إلى المرية من إفريقية والمغرب الأوسط وهي مصنوعة من رخام جيد ومزخرفة بشكل دقيق ومتين مما يظهر مكانة المدينة الفنية العالية<sup>149</sup>.

4- مقابريات: عبارة عن ألواح من الرخام توضع على جانبي القبر، ظهرت في الأندلس الشرقية منذ القرن 6هـ/12م، وقبلها وجدت في إفريقية والمغرب الأوسط وصقلية<sup>150</sup>، ويذكر ليفي بروفنسال أنها دخلت المغرب في عهد المرينيين<sup>151</sup>، لكننا وجدنا مقابرية من هذا النوع خاصة بإحدى جوارى أحد أمراء الموحدين بسبته تسمى صيدة<sup>152</sup>،

وهذه الإشارة تثبت أنها كانت موجودة في المغرب قبل العهد المريني إن لم تكن مما أنجز بعد تاريخ الدفن.

وتشير هذه الأنواع إلى مدى غنى الشواهد في الأندلس، أما المغرب فعرف انتشار النوع المربع أو المستطيل والمقابريات؛ ربما، منذ العصر الموحد.

وتضاف إلى هذه الأنواع الشاهدة الخزفية التي وصفها باحث إسباني كما يلي: "إن الشكل الجاري استعماله عبارة عن أجرة مستطيلة في جهة وعلى شكل لوزة في الجانب الآخر، وتلصق بها أذنين في الجزء العلوي"، وقد وجدت نماذج منها مصنوعة من الصخر منذ القرن 8هـ/14م<sup>153</sup>. ورغم ندرتها، فقد انتشرت في المدن التي تزدهر بها صناعة الخزف مثل مالقة وغرناطة ومرسية، وتثبت على رأس القبر، وهي ملمعة ومزخرفة إما في وجه أو الوجهين معا حسب الحالات والمناطق<sup>154</sup>، وهذه الشواهد قديمة وتعود أقدم إشارة إليها إلى عام 344هـ/954م<sup>155</sup>، وتوجد واحدة منها في شالة.

ويجب أن نشير إلى أن هذه الأشكال التي وصفناها وقدمناها توافق الأشكال الفاخرة، ذلك أن هناك أشكالا مشتقة منها بعد تشويها، تستعمل بالخصوص في الأوساط الشعبية، وهناك استعمال الأحجار دون نحت ولا صقل ولا حتى تقويم وقطع الخزف وتكتب فوقها معلومات بسيطة توضع على القبر.

اعتمدت شواهد القبور في كتابتها على الخط الكوفي المعقد أو البسيط حسب الحالات ومكانة الميت، لكن العصر الموحد شهد ميلا نحو استخدام الخط الكوفي البسيط<sup>156</sup>، بل أكثر من ذلك بدأ استعمال الخط الأندلسي البسيط والمقروء كما تظهر شاهدة من بطليوس مات صاحبها عام 545هـ/1150م<sup>157</sup>، وهو أمر لوحظ أيضا في لوحات المنشآت العمرانية<sup>158</sup>، ومع بني نصر سيعم استعماله بالأندلس<sup>159</sup>، ونفس الشيء حصل في ظل المرينيين.

بعد أن توقفنا عند بعض خصائص الشواهد الشكلية، نحاول أن نلقي نظرة على محتوياتها؛ فليفي-بروفنصال الذي درس عددا كبيرا منها (يمتد تاريخها ما بين القرنين 3هـ/9م و9هـ/15م) يقول: إن الشواهد الأندلسية تكاد تتشابه والاختلاف هو مجرد بهرجة لغوية، وحدد أهم عناصر الشاهدة فيما يلي<sup>160</sup>:

- عبارة البداية العادية.

- آية قرآنية تعبر عن فناء الدنيا وهي في الغالب الآية 5 من سورة فاطر (رقم 35).
- تعيين الميت بالبداية بعبارة: هذا قبر...
- عبارة التبجيل (رحمه الله)
- الشهادة التي تستعمل للتعبير عنها الآية 33 من سورة التوبة (رقم 9)
- تاريخ الوفاة.
- ترحم على الميت.

ويضيف أن هذا الشكل سائد أيضا في مصر، وهي لا تهتم بالجانب الدنيوي للميت باستثناء ذكر أصله وألقابه وفي أحيان نادرة تاريخ ولادته وعمره عند الوفاة، ويضيف طوريس بلباس أنها خالية من حرارة المشاعر الإنسانية الموجودة في الشواهد الرومانية<sup>161</sup>، ونحن نوافقهما على هذا الكلام بكل بساطة لأننا نعرف العينة التي اعتمدا عليها، وهي الواردة عند ليفي-بروفنصال في كتابه "الكتابات العربية في الأندلس" وشواهد لا تعطي إلا أشياء قليلة إضافة إلى ما قيل، لكن العودة إلى باقي المصادر خاصة الأدبية وكتب التراجم توفر لنا نوعا آخر من الشواهد تتضمن أشعارا تنقل أحاسيس أصحابها وموقفهم من الموت وعلاقتهم بالأحياء وأشياء أخرى. وقد أغفلت بعض الخصائص نذكر منها:

- 1- قبل القرن 5هـ/11م، الشواهد جد ملخصة وتندرفها الآيات القرآنية، وهي تحاول تأدية واجبها المتمثل في تخليد ذكر الميت دون زيادة.
- 2- ما بين القرنين 5هـ/11م و7هـ/13م، كثرت الشواهد القرآنية التي تؤكد على التوحيد وإقرار النبوة، وكتابات شعرية تحمل مشاعر الميت، ثم بداية التطويل في الشاهدة التي صارت تؤدي أدوارا متعددة: تلقين الشهادة والبحث عن الوساطة (الشفاعة) ودعم الأحياء، وهذه؛ دون شك، مشاعر عميقة، إضافة إلى ذكر سبب الوفاة والتظلم من القاتل.<sup>162</sup>
- 3- القرنان 8هـ/14م و9هـ/15م، تحولت الشاهدة إلى قطعة أدبية نثرية وشعرية مطولة وعلى مستوى عال من البلاغة، لكنها أصبحت عبارة عن سيرة ذاتية للميت. لقد ضعف الاهتمام بالعبارات الدينية والآيات القرآنية، وصار الاهتمام بالمتوفى من حيث ألقابه وأهله وأسلافه وأعماله وسبب موته وتاريخه الموضوع الرئيسي.<sup>163</sup>

- 4- الأشعار التي ينظمها الميت لتوضع في شاهدة قبره تعود إلى الفترة (ق5هـ/11م- ق7هـ/13م) وأهم ما تضمنته:
- الإقرار بالمصير الذي ينتظر الكل.
  - اعتراف الميت بذنوبه وثقته في رحمة ربه.
  - ترجي الأحياء لزيارته والترحم عليه.
  - وعظ الأحياء وتذكيرهم بزوال متاع الدنيا ومغادرة الأحباب ووحشة القبر.
  - تذكّر أيام المتعة والأعمال الجليلة التي قام بها الميت.
  - شكوى الميت من وحدته وغرته.
- أليست هذه مشاعر إنسانية متوقدة؟ أليست تعبيراً عن نفسية أهل المغرب والأندلس في الفترات الأخيرة من حياتهم حيث يسيطر هاجس الموت على الإنسان فيبدأ في استرجاع شريط حياته ويتذكر ما ستركه خلفه من مال وأهل ولذة وما سيعيشه من وحشة وغربة في قبره؟ لقد تحولت الشواهد من مجرد الذكرى إلى إحساس وميل أخروي.
- ويمكن تلخيص مضامين الشواهد كما يلي:
- قبل القرن 5هـ/11م، تخليد اسم الميت.
  - الفترة من القرن 5هـ/11م إلى القرن 7هـ/13م، تخليد الذكر والتعبير عن المشاعر الدينية والإنسانية للميت.
  - القرنان الأخيران: سيرة حياة حقيقية يغلب عليها الطابع الديني.
  - خاتمة: كانت مناسبة تجهيز الميت ودفنه لحظة روحية قوية حركت المشاعر وغيرت المواقف والعادات، لكنها كانت أيضاً مناسبة لخلق وظائف جديدة في المجتمع المغربي- الأندلسي وتنشيط الاقتصاد وإدراك الرزق والخير على فئات متنوعة من المجتمع ممن يمارسون هذه المهنة من غسال وحناط وكفان وحافر قبر وحمال وبكاء وقارئ قرآن ومنشد ومتقن دعاء (القراء والمؤدبون والفقراء) وبناء ونحات ونقاش ونجار وشاعر مسترزق...، وقد تجتمع أحياناً هذه الوظائف عند شخص واحد خاصة الأولى منها (غسال وحناط وغسال وكفان)، وقد فتحت دكاكين في المدينة المغربية- الأندلسية

لتوفير هذه الخدمات مقابل أجور يتفق حولها ولي الميث وصاحب الخدمة، وبذلك يلتقي بؤس ناس بسعادة آخرين كما هي سنة الحياة دائماً.

الهوامش:

- 1- عياض أبو الفضل بن موسى، ترتيب المدارك، تحقيق محمد بن شريفة وسعيد أعراب، مطبعة فضالة، المحمدية، 1882، ج7، ص. 180 والنباهي، المرقبة العليا، المكتب التجاري للطباعة، بيروت، ص. 89 وابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1964، ج1، ص. 157. ---- 2- ابن خاقان الفتح بن محمد، مطمح الأنفس ومسرح التأنس، تحقيق محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983، ص. 160.
- 3- التادلي يوسف بن يحيى ابن الزيات، التشوف، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 1984، ص. 285.
- 4- ابن عبد الملك محمد بن محمد المراكشي، الذيل والتكملة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1973، ج6، ص. 138. ---- 5- البادسي عبد الحق بن إسماعيل، المقصد الشريف، تحقيق سعيد أعراب، المطبعة الملكية، الرباط، 1982، ص. 133. ---- 6- عياض، المصدر السابق، ج7، ص. 191 وابن بشكوال، الصلة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1955، ج1، ص. 208.
- 7- نفسه، ص. 50. ---- 8- نفسه، ص. 42-43 وج8، ص. 9. ---- 9- ابن الزبير أحمد بن إبراهيم الثقفي، صلة الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس وسعيد أعراب، مطبعة فضالة، المحمدية، 1993، قسم 3، ص. 110. ---- 10- ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج1، قسم1، ص. 181. ---- 11- ابن الزبير، للمصدر السابق، ص. 36. ---- 12- عياض، المصدر السابق، ج7، ص. 214.
- 13- ابن عبد الملك، الذيل، تحقيق محمد بن شريفة، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1984، ج8، قسم1، ص. 563.
- 14- نفسه، ج8، قسم1، ص. 251. ---- 15- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج7، ص. 278-279.
- 16- الجوهري، الصحاح، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1972، ج3، ص. 1120.
- 17- ابن حيان أبو مروان بن خلف، المقتبس، تحقيق محمود علي مكي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973، ج2، ص. 213.
- 18- ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج8، قسم 2، ص. 479-480. ---- 19- عياض، المصدر السابق، ج7، ص. 181.
- 20- النونشريسي أحمد بن يحيى، المعيار المغربي، تحقيق تحت إشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ج1، ص. 9.
- 21- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، تحقيق ليلى بروفنصال وكولان، دار الثقافة، بيروت، 1983، ج2، ص. 288.
- 22- عياض، المصدر السابق، ج7، ص. 214. ---- 23- نفسه، ص. 181. ---- 24- ابن حيان، المصدر السابق، ج2، ص. 92-93.
- 25- عياض، المصدر السابق، ج7، ص. 144. ---- 26- نفسه، ص. 141. ---- 27- ابن الخطيب لسان الدين، أعمال الأعلام، تحقيق ليلى بروفنصال، دار المكشوف، بيروت، 1956، ج2، ص. 254. ---- 28- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص. 52.
- 29- نفسه، ج3، ص. 73 والنويري، تاريخ الغرب الإسلامي، تحقيق مصطفى أبو ضيف، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص. 133. ---- 30- البيدق أبو بكر الصنهاجي، أخبار المهدي، دار المنصور، الرباط، 1971، ص. 59.
- 31- ابن عذاري، المصدر السابق (قسم الموحدين)، تحقيق محمد زنيبر وآخرين، دار الثقافة، البيضاء، 1985، ج3، ص. 337.
- 32- المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1978، ص. 377 وابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ج7، ص. 136.
- 33- ابن الخطيب، مثلى الطريقة، دار المنصور، الرباط، 1973، ص. 21. ---- 34- ابن الفرضي أبو الوليد الأزدى، تاريخ العلماء، مطبعة المدني، القاهرة، 1988، ج1، ص. 97. ---- 35- ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص. 358. ---- 36- البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1977، ص. 786. ---- 37- ابن الخطيب، مثلى الطريقة، ص. 21.
- DOZY (R), Supplément aux dictionnaires arabes, librairie du liban, Beyrouth, 1968, t.2, -38 p. 486.
- 38- المواعيني محمد بن إبراهيم الإشبيلي، ربحانة الألباب، مخطوط الخزانة الملكية، الرباط، رقم 1406، ورقة: 143 (2) وابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص. 58. ---- 39- التادلي، المصدر السابق، ص. 206.
- 40- انظر كتاب "الموقف من الموت" لمحمد حقي، مطبعة مانبال، بني ملال، 2007، ص. 59-60. ---- 41- نفسه، ص. 31-32.
- 42- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص. 288 والمقري، أزهار الرياض، مطبعة فضالة، المحمدية، 1978، ج5، ص. 120.
- 43- التادلي، المرجع السابق، ص. 206. ---- 44- نفسه. ---- 45- نفسه، ص. 383.

- 46-ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973، ج 4، ص 492.
- 47-ابن أبي زيد القيرواني، الرسالة، كانو، ص 54---48-ابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد، بداية المجتهد، دار الرشاد، البيضاء، ج 1، ص 168-169---49-انظر كتاب "الموقف من الموت"، ص 31-32.
- 50-الزجالي أبو يعي، أمثال العوام، تحقيق محمد بن شريفة، نشر وزارة الثقافة بالمغرب، ج 2، ص 400.
- 51-التادلي، المصدر السابق، ص 383---52-مجهول، ذكر بلاد الأندلس، مخطوط الخزنة الملكية، الرباط، رقم 558، ص 213.
- 53-ابن الخطيب، الإحاطة، ج 4، ص 492---54-ابن أبي زرع علي الفاسي، الأئيس المطرب، دار المنصور، الرباط، 1973، ص 401---55-ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج 1، ق 1، ص 364---56-نفسه، ص 268.
- 57-الونشريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 9---58-السوسي أبو عبد الله محمد بن يوسف، نصرة الفقير، مخطوط الخزنة الحسنية، الرباط، رقم 12531، ورقة 10---59-ابن عربي الحاتمي الطائي، الفتوحات المكية، صادر، بيروت، ج 1، ص 536.
- 60-ابن رشد، بداية المجتهد، ج 1، ص 176---61-عياض، ترتيب، ج 3، ص 392 وابن حيان، المصدر السابق، ج 2، ص 17.
- 62-ابن الأبار محمد بن عبد الله القضاعي، التكملة، تحقيق عزت العطار الحسيني، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة، 1955، ج 1، ص 8---63-عياض، المصدر السابق، ج 6، ص 283-284---64-ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 73 والجزائري، جني زهرة الأس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1991، ص 58.
- 65-الأفرائي محمد، المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل، تحقيق محمد العمري، مطبعة فحالة، الرباط، 1997، ص 256.
- 66-ابن الفرضي، المصدر السابق، ج 2، ص 163---67-نفسه، ص 79---68-نفسه، ج 1، ص 360.
- 69-نفسه، ص 306---70-ابن عذاري، المصدر السابق، ج 2، ص 175---71-ابن بشكوال، للمصدر السابق، ج 1، ص 340.
- 72-الضبي أحمد بن يعي، بغية الملتبس، مطابع روخس، مدريد، 1884، ص 65---73-ابن الأبار، التكملة، ج 2، ص 677.
- 74-نفسه، ج 1، ص 435 والصلة، ج 1، ص 333.
- 75-ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن، العبر، نشر خليل شحاتة، دار الفكر، بيروت، 1988، ج 7، ص 334.
- 76-ابن الخطيب، الإحاطة، ج 3، ص 230---77-الونشريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 336-337.
- 78-ابن الزبير، المصدر السابق، ص 36---79-الزجالي، المصدر السابق، ج 2، ص 279 و 287 و 313.
- 80-ابن جزم علي بن محمد، طوق الحمامة، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ص 35.
- 81-الداودي أحمد بن نصر، كتاب الأموال، تحقيق محمد سالم شحاده، مكتب إحياء التراث العربي، مطبعة دار الثقافة، الرباط، ص 164-----82-الوزان الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، دار الغرب الإسلاميين بيروت، 1983، ج 2، ص 258-----83-العقباني، تحفة الناظر وغنية الذاكر، مخطوط الخزنة الملكية، الرباط، رقم 691ك، ص 90.
- 84-القرطبي شمس الدين محمد بن عبد الله، التذكرة في أحوال الموتى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ص 117.
- 85-عياض، المصدر السابق، ج 7، ص 158 والصلة، ج 2، ص 460---86-انظر كتاب "الموقف من الموت"، ص 31 و 33.
- 87-ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 278---88-التميري، فيض العباب، ص 40-----89-ابن الخطيب، الإحاطة، ج 3، ص 33.
- 90-ابن الخطيب، نفاضة الجراب، تحقيق مختار العبادي، دار الكاتب العربي، القاهرة، قسم 2، ص 207.
- 91-ابن عذاري، المصدر السابق، (قسم الموحدنين)، ج 3، ص 234---92-التادلي، المصدر السابق، ص 207.
- 93-ابن الخطيب، الإحاطة، ج 3، ص 273---94-التميري، المصدر السابق، ص 40.
- 95-ابن عبيدون، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسية، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، 1955، ص 217 والمقري، نفح الطيب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ج 7، ص 195.
- والعقباني، المصدر السابق، ص 94---96-ابن الزبير، صلة الصلة، مطبعة فضالة، المحمدية، 1993، ص 254.
- 97-ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج 1، قسم 2، ص 231-233---98-ابن الخطيب، الإحاطة، ج 3، ص 31-33.
- 99-الونشريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 328---100-نفسه---101-العقباني، المصدر السابق، ص 94.
- 102-ابن عبيدون، المصدر السابق، ص 217---103-القرطبي، المصدر السابق، ص 117---104-الونشريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 327---105-الونشريسي، المصدر السابق، ج 1، ص 317---106-العقباني، المصدر السابق، ص 94.
- 107-ابن خاقان، المصدر السابق، ص 246---108-ابن الأبار، المصدر السابق، ج 1، ص 243.



- 109-الونشريسي، المصدر السابق، ج1، ص. 150 وج7، ص. 330---110-الزجالي، المصدر السابق، ج2، ص. 355.
- 111-ابن بسام علي الشنتري، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1979، ج4، ص. 373---112-ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص. 235---113-السقطي أبو عبد الله محمد، آداب الحسية، المطبعة الدولية، باريس، 1931، ص. 68---114-الحميدي أبو عبد الله محمد بن فتوح، جذوة الاقتباس، الدار المصرية، 1966، ص. 136.
- 115-Torres Balbas (L), Los cementerios hispanomusulmanes, AL-Andalus, Vol. 22, fasc. 1, 1957, p. 156.
- 116-ابن حزم، المصدر السابق، ص. 89---117-الحميدي، المصدر السابق، ص. 136---118-ابن الأحمر إسماعيل، بيوتات فاس، دار المنصور، الرباط، 1972، ص. 63---119-ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص. 278---120-الوزان، المصدر السابق، ج1، ص. 280.
- 121--d'archeologie marocaine, t.14, Vascos, Bulletin (R) Izquierdo- Benito- 1981-1982, p.337
- 122-ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج8، قسم 1، ص. 254---123-الوزان، المصدر السابق، ج1، ص. 280.
- 124-المراكشي، المصدر السابق، ص. 399---125-ابن الأبار، الحلة السيرة، تحقيق حسين مؤنس، الشركة العربية للنشر، القاهرة، 1963، ج2، ص. 267---126-ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص. 278.
- 127-عياض، مذاهب الحكماء، تحقيق محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص. 300-301.
- 128-السالم، عبد العزيز، تاريخ المرية، دار النهضة العربية، بيروت، 1969، ص. 164.
- 129-Torres Balbas, op. cit., p. 142.
- 130-السالم، المرجع السابق، ص. 164---131-لوفي-بروفنصال، حضارة العرب، دار المعارف، القاهرة، 1985، ص. 34 وعبد العزيز بن عبد الله، تطور الفن الموحد، مجلة البنية، عدد يناير 1963، ص. 74.
- Venet Gines, los musulmanes espanoles, éd. Sayma, Barcelona, 1961, p.117 & Terrasse, Art almoravide, R. AL-Andalus, t.26, fasc., 2, 1961, p. 447.
- 132-Ibid, p. 435.
- 133-المراكشي، المصدر السابق، ص. 399---134-ابن منظور، المصدر السابق، ج2، ص. 17.
- 135-عياض، ترتيب، ج4، ص. 252---136-ابن عذاري، المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص. 171.
- 137-المقري، نفح، ج6، ص. 67---138-العباس بن إبراهيم، الإعلام، المطبعة الجديدة، فاس، 1936، ج2، ص. 175.
- 139-ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص. 168---140-ابن عبد الملك، المصدر السابق، ج6، ص. 166. وهذه عادة ما تزال موجودة في بعض مناطق المغرب وخاصة الواحات الجنوبية. ---141-عياض، مذاهب الحكماء، ص. 302.
- 142-Deverduin G., Inscriptions arabes de Marrakech, ed. Techniques Nord Africaines, Rabat, pp.(9-13).
- 143-Brosard Ch., les inscriptions arabes de Tlemcen, R. Africaine, N. 16, Avril 1859, pp.(241-262).
- 144-ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص. 200 و338 و357 و59 و87 و115---145-المواعيني، ربحانة الألباب، مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط، رقم 1406، ورقة 143 (2) وابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص. 58.
- 146-Lévi- Provençal (E), Inscriptions Arabes d'Espagne, éd. Larousse, Paris, 1931, pp.22-25.
- 147-Torres Balbas, op. cit. pp. 145-155.
- 148-السالم، المرجع السابق، ص. 164---149-نفسه، ص. 164 / . 139. / Torres Balbas, op. cit., p. 139.
- 150-- Ibid, p. 153.---151- Ibid & Lévi -Provençal, op. cit, p. 25.
- 152-ابن القاسم الأنصاري، اختصار الأخبار، الرباط، 1983، ص. 18.
- 153- José Ferrandis Torres, Estelas ceramicas, Al-Andalus, t.3, fasc. 1, 1935, p. 179.
- 154- Torres Balbas, op. cit. p. 157.
- 155-المواعيني، المرجع السابق، ورقة 143 (2) وابن سعيد، المرجع السابق، ج1، ص. 58.
- 156- Lévi - Provençal, op. cit, p. 28. ---157- Ibid, pp. 57-58. ---158-Terrasse, op. cit, p. 444. ---159-Lévi-Provençal, op. cit, p. 24. ---160-Ibid, pp. 21-22.---161-Torres Balbas, op. cit, p. 158.
- 162-شاهدة من بطليوس مات صاحبها عام 539هـ/1144م، أنظر Lévi- Provençal, op. cit, p. 56
- 163-Deverduin, op. cit., p. 17-18 -